دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سبل المحافظة على هوية المدينة العربية المعاصرة من ظاهرة العولمة
المصدر:	آداب الكوفة
الناشر:	جامعة الكوفة - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	كمونة، حيدر عبدالرزاق
مؤلفين آخرين:	البغدادي، عبدالصاحب ناجي رشيد(م. مشارك)
المجلد/العدد:	مج 3, ع 6
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الصفحات:	21 - 53
رقم MD:	188015
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	العادات و التقاليد، المدن العربية، تخطيط المدن، الهوية العربية، العولمة، الغزو الفكري، الأخلاق الإسلامية، التنمية الاجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/188015

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

سبل المحافظة على هوية المدينة العربية المعاصرة من ظاهرة العولمة

الأستاذ الدكتور

حيدر عبد الرازق كمونه

جامعة بغداد/المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الصاحب ناجي البغدادي

المساعد الإداري لرئيس جامعة الكوفة

المستخلص:

أن المدينة كتشكيل معماري هي ظاهرة إنسانية تتشكل صورتها من خلال نظام طبيعة الفكر, لذا فان ما تحمله الصورة يعكس تماما طريقة التفكير في إنتاج هذه الصورة, والمداومة على التفاعل مع صور بأشكال معينة تعكس فكرا محدداً سيؤدي بطبيعة الحال إلى التطبع بمفردات ذلك الفكر, لذا فان تحديد توجه فكري في إنتاج حركة معمارية سيجعل من الممكن أن تكون تلك الحركة مؤثرة, ومع تقادم الزمن سيساعد ذلك في ترسيخ مفردات ذلك الفكر.

وإن من أشد التيارات الفكرية أثرا في هوية المدينة العربية في وقتنا المعاصر هو العولمة من حيث رؤيتها للعالم كقرية صغيرة لتنكر بذلك الفوارق بين الأقاليم من حيث الفكر والتقاليد والعادات, وقد بدأت بوادر العولمة وانعكاساتها تظهر في التشكيل المعماري للمدينة العربية بعد أن ظهر في صور الأدب والشعر.

لذا لابد من الفهم العميق لماهية العولمة وإيديولوجياتها وتأثيرها وتشخيص ايجابياتها وسلبياتها وما تشكله من تأثير في التشكيل المعماري للمدينة العربية لكي يتم الوعي الكامل بهذه المتغيرات والتطورات ومواجهتها بالتسلح الثقافي والإدراك الواعي.

المقدمة:

كل حضارة وجدت على هذه الأرض عبر الزمن حملت في طياتها معرفة حدوث وجودها وصفتها بما يميزها عن غيرها. خاصة المعرفة الممتلكة هذه هي جوهر التميز والاختلاف لكونه يمتد لا ليشمل فقط العلم النظري وإنما يحوي كل مجالات الحياة في الأدب والسياسة والاجتماع ... واضعا حلقة محيطية تبرز هذا المجتمع في مكان وزمان معينين بملامح وأسلوب مغاير في إيقاع يتناسب مع وجودها وفي ترابط وتفاعل مع حالة الأمس في سعيها نحو الغد ضمن حالة الحاضر.

لكن الآن في حضارتنا هذه كل ما يميزها يميل إلى الاختلاف عن سابقة في مدى يتعدى قدرة الإنسان في الاستجابة لهذا التغير. فالإيقاع المتزايد لحركة المحيط تشير إلى اختلاف جوهري في حقيقة واختلاف في المحتوى كمعرفة.

فالبنية المعرفية للمحيط كعامل في مبدأ التغير يبرز من خلال العلم المكتسب من قبل الإنسان بماهيته يظهر جانبا جوهريا في الاختلاف بكل أبعاده على مستوى محتوى العلم القديم ضمن عملية تحديثه أو على مستوى إظهار العلم الجديد بفروعه الجديدة المتعددة، مولدا بنية معرفية جديدة محيطة بالإنسان تمتد في تأثيرها لتضم مفاهيمه كقيم أساسية في حياته كحالة انعكاس لشمولية هذا التغيير.

والمعلوماتية إحدى التجليات الكبيرة لمتغيرات هذا العصر السريع وأنها قد أثرت في حياتنا ونظرتنا للمستقبل وذلك من خلال شواهدها الحاضرة وتأثيراتها المستقبلية وخصوصا ما يتعلق بجمال المدينة وبنيتها الحضرية التي تعتبر من المسائل الواجب دراستها بصورة مستفيضة، حيث بفهمنا لهذه المتغيرات وماهيتها الجوهرية وصيغ تفصيلها في الحياة، من الممكن معرفة ما يواجه مدننا اليوم في خضم هذه المتغيرات المتسارعة، وبما يعزز فينا الحفاظ على هويتنا الحضارية العريقة في مواجهة تحديات العولمة (المعبر الأساس لثقافة وقيم وحضارة وتقاليد الآخرين) والتي ترسخها العديد من المتغيرات في هذا العصر ومن أكثر هذه المتغيرات تأثيرا في ذلك هي المعلوماتية.

فالعولمة تمثل تحديا لنا أو للعلم وأنها تستحق أن يبذل جهد جاد ودؤوب في محاولة فهمها وتحليلها، وبلورة ردود الفعل المثلى إزاءها. إن العولمة سلاح خطير يكرس الثنائية، وانشطار الهوية الثقافية الوطنية وان السيادة الثقافية تنهار بتزامن ضغوط الخارج مع إخفاقات مؤسسات الداخل, وسيادة ثقافة الصورة.

والمدينة العربية نتاج إنساني معبر عن حاجة الوجود, فهي تعتبر حقيقة قائمة تمثل السكن الفيزيائي للوظائف العامة والتشكيل التلقائي لتلك الوظائف ضمن إستراتيجية اظهارية معينة, فالمدينة لا تكتسب قيمتها من مواد البناء أو من الأرقام التي تمثل أبعادها الفيزيائية, بل في تجسيدها لكينونة الإنسان.

وتعتبر المدينة العربية ملتقى لأفكار الإنسان العربي الذي يعيش فيها. أي أنه هناك حالة اتصال وتعني وجود لغة مشتركة أولا ما بين المدينة والإنسان وهناك معنى يفهم من خلال اللغة المشتركة ثانيا أي باختصار أن المدينة العربية هي مدينة تعبيرية أي تمتلك تعبير في كل زمان ومكان وهذا التعبير منطلق من الفكر الإسلامي وكيفية ترجمة هذا الفكر من خلال الشكل المناسب. فالمدينة العربية تمتلك تشكيلا خاصا يعبر عن فكرها الخاص. هذا الفكر هو صورة الحقيقة التي يعيشها الإنسان العربي.

ومن ذلك نرى بأن الهيئة الحضرية والعمارة هي نتاج لتفاعل عوامل فكرية ومادية وهذه العوامل تحدد الهوية المميزة للأمم والبلدان, فالعولمة في أحد أبرز أهدافها النيل من القيم العربية الأصيلة. وذلك من خلال إفراغ الهيئة الحضرية والعمارة من محتواها الفكري.

وهذا ما نلاحظه في الوقت الحاضر في العديد من مشاريع وواجهات معمارية تحتوي على العناصر البعيدة عن قيمنا وتراثنا .. فنشاهد مثلا الإسراف والبذخ والإفراط واللاوعي في استخدام الديكورات والمرمر والحلان وغيرها مما نفاجئ به كعرب وأصحاب موروث تاريخي أصيل, رأينا إضافة إلى ذلك نقل أعمى لعناصر في المدن الغربية إلى مدننا ومنها الدبل فاليوم (Double Volume) والانفتاحية العالية نحو الخارج, واستعمال الفتحات والزجاج بشكل غير لائق.

مشكلة البحث:

يتبين لنا أن هناك إحساس مشترك بوجود ظاهرة يعتقد أنها تؤثر على جوهر المدينة العربية المعاصرة وذلك من خلا وضع تصاميم معمارية وتخطيطية تؤثر على عاداتنا وتقاليدنا وسلوكنا الإنساني المستندة على القوانين التخطيطية والعمرانية المتبعة في المدن العربية والتي تسهل اختراق وتغلغل فكر العولمة ونشر الأفكار الهدامة التي تمسح الهوية العربية. ولهذا تكمن المشكلة في الاهتمام بالقيم الإنسانية في البيئة الفيزيائية وعلاقة الإنسان بمعطيات العصر الجديدة (عصر الثورة المعلوماتية) وكيفية استغلالها في تشكيل المحتوى الحضري للمدينة دون تجريح هويتها.

هدف البحث:

محاولة الوصول إلى إدراك مميزات هذا العصر الايجابية (عصر الثورة المعلوماتية أو العولمة أو الكونية) والاستفادة منها في المحافظة على هوية المدينة العربية المعاصرة.

١. مفهوم عولمة المدينة

إن المدينة كتشكيل معماري هي ظاهرة إنسانية تتشكل صورتها من خلال نظام طبيعة الفكر, لذا فإن ما تحمله الصورة يعكس تماماً طريقة وطبيعة التفكير في إنتاج هذه الصورة والمداومة على التفاعل مع صورة بإشكال معينة تعكس فكرا محددا سيؤدي بطبيعة الحال إلى التطبع بمفردات ذلك الفكر، لذا فإن تحديد توجه فكري في إنتاج حركة معمارية سيجعل من الممكن أن تكون تلك الحركة مؤثرة، حيث يكون لصورها تأثير في تطبع المتلقي لطبيعة الأصول الفكرية المكونة لهذه الصور (التشكيل المعماري للمدينة) ومع تقادم الزمن سيساعد ذلك في ترسيخ طبيعة تلك الأصول الفكرية. وهذا يعني بأن تحديد صورة لهذا التشكيل المعماري للمدينة من خلال تبني فكر يرتبط بأصول حضارتنا سينتج صورة لمدينة لها هوية محددة من خلال إدراك خصائص العلاقة لعناصر ذلك الفكر المرتبط بحضارتنا دون آثار فكرية أخرى قد ترتبط بها العمارة والتي تكون بعيدة عن طبيعة الفكر الذي يمثل مجتمعنا وبيئتنا الفكرية والاجتماعية. وعليه يبرز مما تقدم أهمية تحديد آلية إنتاج صور المدينة وفق الفكر المرتبط بمجتمعنا من جهة وفي تحديد الآثار الفكرية الدخيلة وانعكاساتها في إنتاج صورة هوية المدينة العربية من جهة أخرى.

إن من أشد التيارات الفكرية أثرا في هوية المدينة العربية في وقتنا المعاصر هو العولمة من حيث رؤيتها للعالم كقرية صغيرة لتنكر بذلك الفوارق بين الأقاليم من حيث الفكر والتقاليد والعادات، وقد بدأت بوادر العولمة وانعكاساتها تظهر في التشكيل المعماري للمدينة العربية بعد أن ظهر في صور الأدب والشعر.

مفهوم العولمة

إن العولمة تمثل شكلا جديدا من أشكال السيطرة والهيمنة إلى درجة أن كلمة استعمار تلازمها لخلطها فصارت تعرف بـ(استعمار الصورة) وبذلك تنتقل من ظاهرة "حضارة الكتاب" المرتبطة بالتفكر من خلال الكلمة إلى ظاهرة "حضارة المشاهدة" وهي الظاهرة التي جعلت من وسائل المشاهدة كالتلفزيون وشبكات الانترنت والقنوات الفضائية وغيرها منبعا أساسيا للمعرفة، وهي معرفة مبسطة يمتلكها المشاهد دون أن يبذل أي جهد، فحتى زمن قصير مضى، لم يكن الإعلام يكتفي بتصوير الحدث فحسب، بل كان يشرحه ويبين خلفياته، أما اليوم فقد صار الإنسان شاهد على الحدث وتابعا له ليس إلا. وهكذا برز الوهم الخادع بان (المشاهدة) تعني الفهم والإدراك، ولقد أدى ذلك إلى طغيان الصورة التي تسعى للهيمنة على حقل الثقافة حيث تعتمد الفكرة على

تغذية عقلية الفرد بشكل غير مباشر دون أن يشعر ذلك الفرد بشكل مباشر بتغلغل تلك الأفكار في عقلية وذلك من خلال "أسلوب صوري" تحمل علاقات بين عناصرها تعكس فيها طبيعة مفردات ذلك الفكر, وبعبارة أخرى فإن التصميم التعليمي يعتمد المعادلة المنطقية بين الفكر والصورة, فالفكر ينتج صورة والصورة تعلم فكرا وبهذا الأسلوب فإن العولمة تشيع خطابا يعتبر إن التاريخ قد انتهى وان حاجة الإنسان إلى التفكير قد انتفت وما على الإنسان إلا أن يتكيف باعتبار أن الوضع القائم هو سقف التطلع الإنساني وانه لم يعد هناك خيار ثقافي أو اجتماعي سوى خيار الايدولوجيا القائمة. أما شكل العولمة بمظهرها الحالي فهو يعكس التقدم الكبير الذي بلغته صيرورة توحيد العالم, فبفضل ثورة الاتصالات تغيرت صلة الإنسان بالمكان بصورة جوهرية وبات العالم يفرض نفسه كوحدة تحليل رئيسة لفهم وإدراك الأحداث, كما طرأ تحول جذري على مفهوم الزمن الذي لم يصبح عالمياً فحسب بل أصبح قصيراً جداً يمحو المسافات والحدود الجغرافية من خلال هيمنة الصورة وضعف قيمة الكلمة نتيجة تأخرها عن مواكبة الحدث[١]. هذا يعني بان فكر العولمة يختلف عن الفلسفة العربية الإسلامية ليس في الموضوع فحسب وإنما في المنهج أيضا ذلك إن وسيلة البحث لدى الفلسفة العربية تعتمد التأمل العقلي (التفكر) وذلك لان هدفها الوصول مبدأ كلي موحد يفسر العالم فاستنتجوا الخاص من المبدأ العام والكل[٢]. أما العولمة ووفق ما تقدم فإنها تحاول النفاذ إلى العلل الأولى للأشياء وجعل نقطة البداية عن التجربة والحس, لذلك سعت نحو تجميع اكبر قدر من المعرفة في مختلف ميادين الحياة عن طريق وسائل الإعلام باختلاف أنواعها مستفيدة من التطور التكنولوجي الهائل من انترنت وقنوات فضائية وغيرها[٣]. وعلى هذا فان منهج العولمة يعد منهجا استقرائيا عمليا يختلف عن منهج الفلاسفة العرب الذين يهدفون إلى البحث عن المعرفة ذاتها. ونتيجة لذلك نجد أن العولمة جاءت لكي تضع المعرفة على مستوى الحس وتضع الحق والأعراف واللغة والدين على مستوى التعاقد الاجتماعي. وبذلك تبدلت من المفاهيم الكلية (التأملية) الثابتة إلى الإحساسات المتغيرة وقد أدى ذلك إلى التجائهم إلى النسبية فأصبح الإنسان مقياسا للأمور جمعا حيث يقود ذلك إلى القول بان المعرفة ليست ذات أهمية والمهم هو الرأي الذي يعتقد بأنه مفيد.

وللعولمة تجليات متعددة: اقتصادية وسياسية وثقافية واتصالية. التجليات الاقتصادية تظهر في تعمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية وفي وحدة الأسواق المالية وفي تعمق المبادلات التجارية وهذه التجليات الاقتصادية تبرز بوجه خاص من خلال عمل التكتلات الاقتصادية العالمية ونشاط الشركات والمؤسسات الدولية الاقتصادية كالبنك الدولي وغيره[٤].

يظهر البعد الاقتصادي للعولمة في تعميم الرأسمالية وقيم السوق في كل المجتمعات الأخرى في ظل منافسة غير متكافئة, حيث تسيطر نحو ألف شركة متعددة الجنسيات على أكثر من نصف حركة التجارة العالمية. وهذا يعني أن العولمة أدت إلى عالم خمسه يتمتع بالغنى والرفاه والباقي (٥/٤) يعيش الفقر والبطالة[٥].

والتجليات الاقتصادية تحدث أزمة في الدول القومية وذلك من خلال تأثير العولمة في مفهوم وتطبيقات فكر السيادة الوطنية. حيث أن العولمة تناقض المحلية بكونها تريد حدود مفتوحة أمام تبادل السلع والبضائع والخدمات والأفكار والأموال. في حين أن المحلية والقومية منغلقة في حدودها الذي يضمن لها المحافظة على أفكارها وثقافتها وهي لا تعني الانعزال عن العالم الخارجي بل الحوار البناء مع الشعوب بالشكل الذي لا يؤدي بالمساس بتقاليدها وعاداتها.

إن إصرار القوى الرأسمالية والاستكبار العالمي على الحدود المفتوحة هو لحماية مصالحها من الضرر وأن الدول ذات السيادة الوطنية التي تحاول أن تحمي اقتصادها من هذه الرأسمالية فهذا يعني بنظر الدول الغربية ضد التجارة الدولية.

هناك أيضا تجليات سياسية للعولمة .. من أبرزها النزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان .. ويؤكد يسين السيد هل هناك نظرية وحيدة للديمقراطية هي الديمقراطية الغربية؟ أم هناك صياغات أخرى متأثرة بالخصوصية السياسية والثقافية للمجتمعات في العالم[٦].

العولمة في بعدها السياسي تعني انفراد أمريكا بقيادة العالم تحت شعار النظام الدولي الجديد[٧]. من ذلك نجد أن المصدر الثاني قد أجاب على تساؤلات المصدر الأول، حيث أن العولمة وعلى من يسيرها (أمريكا) تدعي بقواعد حقوق الإنسان في حين أن الحقيقة توجد هناك معايير مزدوجة تتبعها أمريكا في تطبيق تلك القواعد.

وأما بخصوص التجليات الثقافية للعولمة، فإنها تهتم بصياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها والغرض منها ضبط سلوك الشعوب والدول بالشكل الذي يؤدي إلى العدوان على الخصوصيات الثقافية، مما يهدد هويات المجتمعات المعاصرة، حيث أن العولمة هي مناقضة للمحلية والقومية فهي تضرب عرض الحائط كل القيم والعادات والتقاليد والخصوصية المكانية والبيئية للمجتمع المحلي أو القومي بنشر أسلوب حياة غربية (أمريكية خاصة) ومحاولة تطبيقها (عولمتها) على كل المجتمعات.

والعولمة في بعدها الثقافي كذلك تعني فرض نمط الحياة الأمريكي الاستهلاكي وتكمن خطورة ذلك في نسبية الحقائق التي تعتمد عليها في مواجهة القيم المطلقة للإنسان (الدين،العدل،الحق، ... الخ). إن جموح الليبرالية التي تشكل الأساس الإيديولوجي للعولمة قد أدى إلى ظهور الأصوليات العرقية والدينية والسياسية داخل البلدان الرأسمالية ذاتها وخلق هذه التربة الخصبة لنمو التطرف بإشكالها المتميزة (ازدياد البطالة وتفشي الجريمة وانتشار المخدرات وتجارة السلاح ... الخ)[٨].

إن ممارسة الحياة اليومية للإنسان وتفاعله مع الطبيعة والمحيط هو عرض مسرحي لثقافته، ومما لا شك فيه إن البيئة والمحيط الذي يتفاعل معه الإنسان سيؤدي بالضرورة إلى التعبير عن خصوصية الهوية الثقافية للفرد وذلك لاختلاف الطبيعة والمحيط من مكان لآخر .. فكيف تقوم العولمة على إيجاد ثقافة عالمية موحدة لكل الناس, إنها

بذلك تلغي ثقافة الشعوب وتمسخ وجودها الحضاري وتلغي دورها في عملية صنع الحدث, حيث لا وجود لشعب دون مقدرته في ممارسة حقه في السيادة الوطنية.

وأخيرا هناك عولمة اتصالية, تبرز من خلال البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية وشبكة الانترنت التي تربط البشر في كل أنحاء المعمورة, إن من المؤكد أن نشأتها وذيوعها وانتشارها ستؤدي إلى أكبر ثورة معرفية في تاريخ الإنسان.

وإن العولمة في بعدها التكنولوجي تعني توظيف أمريكا الثورة المعلوماتية والاتصالية في تحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية وذلك من خلال نوع المعلومات والأفكار التي يريدون هم بثها إلى العالم كافة.

إن ما يجري اليوم في العالم حسب ما نعتقد هو تسخير لأفكار الغرب, فلا وجود للتفاعل والمساواة بين الناس وخصوصا إذا عرفنا أن التفاعل ممكن أن يكون بين قوى متكافئة ومنسجمة وهذا ما لم نجده في عالم اليوم. ولهذا يمكن التخطيط لاستخدام تقنيات العولمة ووسائلها الحديثة وشبكات الانترنت بما يفيدنا ويعزز هويتنا ونشر ثقافتنا وأفكارنا وحضارتنا العربية وواقعنا الخالد وديننا الإسلامي الإنساني العظيم والتعبير عنه بكل الوسائل. ونود أن نقول هنا أن المجتمع الذي يتبنى فكر العولمة هو ذلك المجتمع المتشتت (اللقيط), حيث يتشكل مجتمعه من فئات وقوميات وديانات مختلفة التي تجد في العولمة كحل وسطي ونسبي لتنظيم هذا المجتمع الذي هو أصلاً متفتت (كالمجتمع الإسرائيلي والأمريكي), أما المجتمعات التي تملك حضارة عريقة وتاريخ أصيل ومجتمع متآلف ومنسجم فمن الصعوبة أن تسلم أمرها لهذه الظاهرة.

ومن كل نرى بان فعل العولمة في المدينة العربية على المنظور المستقبلي يعني تبدل في الخصائص الشكلية للعمارة العربية في صورها البرهانية ومنهجها في البحث عن علل النشوء الأولى إلى صورها الشعرية ومنهجها في "محاكاة النظير" ووفق نظرية التلازم والتقابل فإن العمارة ستصبح مجالا مضافا إلى المجالات التي تتغلغل فيها العولمة ليحيلها إلى أداة تحدث تغييرا يمتد إلى الفكر المعماري العربي من خلال المداومة على منهجها وخصائصها الشكلية، وما ستحدثه من التغيير مستقبلا سيركز في مستوى عقلية وشخصية الفرد والمعمار العربي في تبديل أسسه الفكرية في حالة التفكر لاستنباط الحلول المرتبطة بالهوية العربية إلى استخدام الحلول التي تنكر مفهوم الهوية.

٢. العولمة والحضارة بين هوية الفرد وعمارته

إن من المعتقدات البابلية والآشورية القديمة هي إن الإنسان هو سيد الخلق .. فإن هذا المعتقد ينم على إن ما موجود في هذا الكون الفسيح من إمكانيات وموارد مختلفة فهي لخدمة البشرية جمعاء (وهذا يتفق مع الشريعة الإسلامية) ولكن ليس جميع البشر سواسية من حيث الثقافة والفكر والعقيدة وما لديهم من ارث حضاري ولكل منهم حاجته وتكيفاته مع البيئة القاسية .. ولكل إنسان وجوده وشخصيته يعبر عنها برموز معينة،

ولكل إنسان عقائد وشعائر يؤديها ويدافع عنها .. هذه الاختلافات أدت إلى ظهور صراعات بين بني البشر، فحب البشر للسيطرة والهيمنة أمر موجود فطريا (إن النفس لأمارة بالسوء) في نفسية الإنسان، لذلك فلكل فترة صراعاتها ولكل حضارة صدامات مع الحضارات الأخرى .. واليوم نعيش واحدة من تلك الصراعات التي هي العولمة والهوية.

يتركز مفهوم الهوية في العمارة على مبدأ نظري يرى أن العناصر والأشكال والتركيبات والمعمارية تعكس "نمط حياة" الشعب أو الجماعة التي تنتجها ونمط الحياة يتضمن العادات والتقاليد وأساليب التفكير والمعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية .. الخ من الأمور التي يشملها المصطلح الغربي (Culture) ومرادفاته العربية (ثقافية) أو (حضارة) وتدعم هذه النظرية المعاينة الواقعية للطرز وأساليب التصميم والبناء المتباينة لمختلف الشعوب، فما أنتجته الشعوب العربية من عمارة وعمران مثلا خلال تواجدهم في بقاع جغرافية معينة تختلف في الشكل والتأليف عن تلك التي أنتجتها الشعوب الصينية والهندية أو الغربية في نفس الحقبة الزمنية وفي بقاع مختلفة. وباعتبار إن الإنسان واحد بالطبيعة والحاجات الحياتية والأساسية .. فإن النظر إلى العمارة على إنها تعبير عن "ثقافة"هي نظرة تهدف إلى تفسير الاختلاف في التعبير المعماري والعمراني ومن خلال هذا التفسير يبرز بعد الهوية جليا, حيث تصبح العمارة والعمران تجسيد مهم لخصوصية الشعب الذي ينتجها[٩].

الحضارة وهوية الفرد

إن الحضارة كمفهوم تم التعبير عنها بأنها مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وتتمثل في إحراز التقدم في ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية وفي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي التي تنتقل في المجتمع من جيل إلى جيل[١٠]. وهناك فرقا بين الحضارة والمدنية, فالحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة, أما المدنية فهي الأشكال المادية (التكنولوجية) المستعملة في شؤون الحياة. وعليه تكون الحضارة خاصة حسب وجهة النظر إلى الحياة, في حين تكون المدينة خاصة وعامة. فالأشكال المادية التي تنتج عن الحضارة كالتماثيل تكون خاصة, والأشكال التي تنتج عن العلم وتقدمه والصناعة ورقيها تكون عامة, ولا تختص بها امة من الأمم بل تكون عالمية كالصناعة والعلم[١١].

فالمدنية الغربية الناجمة عن العلم والصناعة لا يوجد ما يمنع أخذها, أما المدنية الغربية الناجمة عن الحضارة الغربية فلا يجوز أخذها, لأنه لا يمكن اخذ الحضارة الغربية لتناقضها مع الحضارة الإسلامية, في الأساس الذي تقوم عليه وفي تصوير الحياة الدنيا, وفي معنى السعادة للإنسان.

كما أن الأشكال المادية الناجمة عن الحضارة الإسلامية تناقض الأشكال المدينة الناجمة عن الحضارة الغربية اشد المناقضة، فمثلا الصورة شكل مدني، والحضارة الغربية تعتبر صورة المرأة التي تبرز فيها مفاتنها شكلا مدنيا، يتفق مع مفاهيمها في الحياة عن المرأة. لذلك يعتبرها الغربي قطعة فنية يعتز بها كشكل مدني، وقطعة فنية إذا استكملت شروط الفن. ولكن هذا الشكل يتناقض مع حضارة الإسلام، ويخالف مفاهيمه عن المرأة التي هي عرض يجب أن يصان، ولذلك يمنع هذا التصوير لأنه يسبب إثارة غريزة النوع ويؤدي إلى فوضوية الأخلاق[١٢].

ومثل ذلك أيضا إذا أراد المسلم أن يقيم بيتا وهو شكل مدني، فإنه يراعي فيه عدم انكشاف المرأة في حال تزينها لمن هو خارج البيت، فيقيم حوله سورا، بخلاف الغربي فإنه لا يراعي ذلك حسب حضارته، ومثلا لا يجد الغربي في طراز داره في الداخل أي حاجة إلى إيجاد عزل بين الزائرين وأهل داره فترتب على هذا المفهوم إيجاد فضاء واحد للجلوس (وهو ما يسمى بالصالة) في حين أن المسلم يحتاج إلى فضائيين للجلوس أوجدهما مفهومه عن حرمة البيت، وهكذا باقي الأشكال المدنية الناجمة عن الحضارة بوجهة نظر معينة في الحياة.

أما الأشكال المدنية الناتجة عن العلم والصناعة كأدوات المختبرات والآلات الطبية والصناعية فإنها أشكال مدنية عالية لا يراعي في أخذها شيء، لأنها ليست ناجمة عن الحضارة ولا يتعلق بها [١٣]. وفن العمارة والمسكن هي أشكال مادية تتعلق بالحضارة ولذلك فهي ذات هوية خاصة ترجع بشكل أو بآخر إلى الفكر الذي يحمله الإنسان عن الحياة.

وقد جاء اهتمام ابن خلدون بالعمارة في سياق اهتمامه الأساسي بالعمران وتتبعه لآلية تحضر الجماعات البشرية وعلى اعتبار انه نظر إلى الحضارة بمنظار حسي، فقد ارتبطت الحضارة عنده بالعمارة وبفنون التخديم والترفيه بشكل دقيق، بل تقاربت عنده الحضارة من الظاهرة الحضارية حيث يقول "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً[١٤].

واستخدم ابن خلدون منهجية علمية تناول بها ومن خلالها العمارة كظاهرة قابلة للتمعن والتفحص والدراسة ضمن إطارها وسياقها التاريخي، وتوصل إلى نتيجة، وربما إلى سبق تاريخي في اعتبار العمارة ظاهرة اجتماعية – معاشيه[١٥].

إن رؤيتنا لشكلية العمارة ومختلف المصنعات الأخرى، وتصورنا لها، وتعاملنا معها، سواء أكانت الوظيفة أو الحاجة متأصلة في وجودنا البيولوجي أم مبتدعة من قبلنا كمحصلة لوجودنا الثقافي الحضاري، وسواء كان هذا

المصنع بيتا أم معبدا أم مخزنا. وبهذا الإبداع يتمكن الإنسان من تأمين بقاء امن ومريح وممتع، حسب رؤيته لوجودية بقائه في الزمن المحدد. إذ كيف يمكن لنا تفسير اتفاق الإنسان طاقات قد تتعاظم بحيث تؤلف جهودا هائلة حينما شيد مصنعات كالأهرام في مصر القديمة والزقورات في العراق القديم وحضارة جامع سامراء في العراق، إلا إذا كانت هناك حاجة متأصلة في تكوين الفكر تحفزه لإنفاق مثل هذا القدر من الطاقة على هذه المنشآت حينما كانت اغلب ملاجئه السكنية التي يأوي إليها في معاشه اليومي بسيطة مقارنة مع هذه المنشآت الصرحية.

فإذا نظرنا إلى علاقة الإنسان مع البيئة التي يعيشها، نجد أن لا بد له من أن يحدد موقفا نحو مختلف مقومات المعيش اليومي ويشبعها، وكذلك أن يعي من هو، وماهية مصيره ككيان واع بوجوديته، أي الوعي بهذا الوجود[١٦]. وما يهمنا هنا هو العلاقة بين مقومات هوية الفرد وبين الأداة التي يصنعها بهدف دعم هويته.

والهوية تعرف بشكل عام بأنها عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره أي تحديد حالته الشخصية، بالاستعانة بعدد من السمات[١٧]. ويذكر الجادرجي أن ما تتميز به هوية الفرد من مقومات والوعي بوجودها يتمثل بالتالي[١٨]:

أ. يولد الإنسان للوجود مع فكر خال من استيراث استراتيجيات وأدوات تعامل مع البيئة الطبيعة، لذا يولد اعزل من كل أداة لحماية كيانه. فعليه كفكر أن يهيئ هذه الحماية أو يبتكر طرائقها المتكونة من سلوكيات للتعامل وأدوات لتلك الحماية، وقد ارتقى الوعي بالوجود عند الإنسان، فوعي الوجود هو وعي بوجودية الذات: لماذا ظهر للوجود، وما سيكون بعد هذا الوجود؟ إن مسألة الوجود وحمايته وتهيئة أداة هذه الحماية وسلوكياتها أخذت تؤلف جم هموم الفرد الواعي بذاتية الوجود وتفرده في هذا الوجود. كما يعي الفرد بوجود كيان الذات الواعية، والذات هنا هي فكر فقد استراتيجيات التعامل مع البيئة ومع المستورث بيولوجيا فأصبح فكرا حرا يبتدع التعامل.

ب. إلا أن الإنسان، إضافة إلى تفرديته، اجتماعي بحكم نوعية الوجود الذي يجد نفسه فيه، وللسبب ذاته يكون مركب هويته مرتبطا بمتطلبات الترابط الاجتماعي الذي يعيشه ويحسه ويتعامل معه ما دام حيا ويكون متكيفا بهذا الترابط وكيفا له. وإن غاب هذا الترابط الاجتماعي يفقد الفرد قدرته على التعامل مع البيئة الاجتماعية والطبيعة، بل يفقد مكنة الوجود، كما يفقد مكنة التفرد في هذا الوجود أصلاً. فالتفرد والترابط الاجتماعي إذا يؤلفان حالتين مركبتين من الوجود: متناقضتين ومتداخلتين جدليا، وكذا متكاملتين.

ت. يتميز الإنسان عن بقية المخلوقات بامتلاكه قدرات فكرية هائلة على ابتكار آليات تصنيع أداة تطفي حاجات مركب وعيه لوجوديته، فهو حيوان مبتكر ومسائل ومهموم بهموم الوعي بالوجود وديمومة هذا الوجود.

ومما سبق فإننا نرى أن الهوية هي خصائص متميزة لدولة أو امة معينة تميزها عن بقية الدول أو الأمم. وهذه الخصائص قد جاءت من عدة عوامل منها:

- **الدين وفكره الفلسفي** – فمثلا الدين الإسلامي وفكره الفلسفي يمثل محور الهوية العربية الإسلامية وبسبب وجود بعض المرونة (المتغير والثابت) في مفاهيم الدين الإسلامي أدى ذلك إلى التنوع والوحدة في نفس الوقت أي أنها ثابتة ضمن الأطر العامة للشريعة وأنها متغيرة في الأمور والتفاصيل الفرعية.
- **البيئة (المحيط)** – وتشمل التكيفات التي اعتمدها الإنسان لمواجهة البيئة (الطبيعة) وهذا أدى إلى إعطاء خصوصية وبالتالي تكون الشخصية ثم تكون الهوية.
- **التقاليد والأعراف والثقافات** – ولها تأثير مباشر على مكون الهوية فهي مرتبطة بالماضي ارتباطا وثيقا.
- **اللغة** – اللغة هي أساس التفاهم (إعطاء المسميات للأشياء) كما أنها تختلف من امة إلى أخرى مما يعطي التميز بالهوية.

الرمز الحضاري وهوية الفرد

وبناء على ما استعرضناه من عموميات مختصرة للعلاقة بين مركب هوية الذات الواعية، والبيئتين الاجتماعية والطبيعية، فما يهمنا هنا هو آلية ربط متطلبات الهوية بالمصنّع, أو كيف تقترن مقومات معنوية مع مادة جامدة, كمادة المصنّع وما هي آلية هذا التحويل؟ أو كيف يكتسب المصنّع قيمة معنوية وفكرية, كرمز ثقافي وحضاري يعكس هوية الفرد وحضارته.

الرمز أو الرمزية كمصطلح – مثله كمثل مصطلحات كثيرة, يحمل أكثر من معنى .. وقد سخرت كلمة الرمز مصطلحا في العلوم السيمائية, ويعني هنا إشارة لصفة يحملها شيء عن طريق مصطلح, أو شفرة متفق عليها, وتؤلف مجموعة المصطلحات المتفق عليها المرجعية المشتركة التي تنظم الحوار بين المتحاورين[١٩].

كما أن مصطلح الرمز يعني: الموضوع أو التعبير أو النشاط الاستجابي الذي يشير إلى فكرة أو ميزة إشارة مجردة ويحل محلها ويصبح بديلا ممثلا عنها ولها[٢٠].

وأيضا يمثل علامة اصطلاحية تستخدم استخداما مضطردا لتمثل مجموعة من الأشياء أو نوعا من أنواع العلاقات [٢١].

وفي هذه الدراسة اعتمدنا مصطلح الرمز كمؤشر إلى مقوم في الهوية, أو مركبها العام, أما مصطلح الحاجة الرمزية فيشير إلى حاجة الفرد والجماعة إلى تركيب الهوية وتكوين مقوماتها, وصياغة دعمها, والإعلان عنها, ومقارنتها مع ما عند الآخر. فهي (أي الحاجة الرمزية) إذا, في هذا المفهوم, كحاجة,هي تلك المقومات التي يعيها الفرد والتي تؤلف مركب هويته, وتتمثل هذه المقومات بمعالم تحملها مصنعات تشير إلى هوية الفرد, كما

يعلن الفرد عن هويته بواسطتها, حيث تحدد الحاجة الرمزية وعي الفرد لموقعه بين الأشياء, الحية منها والجامدة, ومن ثم تحدد هويته, وتدل عليه, وتدعمها وتنظمها, وتؤلف وعي الفرد بحاضره[٢٢], ومن ثم تتحدد هوية الفرد في مخيلة الذات, تتهيأ ذاكرة لها, كفكر ومادة, سواء كانت نصوصا مدونة أم شكليات لمصنّعات, أو تصورات تبقى قائمة في الذاكرة. فتكون هذه الذاكرة المقومات القائمة في المرجعية الفكرية.

وتتحدد القيمة الرمزية للمصنع بقدر ما ترتبط وتقترن هوية الفرد بشكلية المصنع, لذا لا يتحقق حوار دلالة معنى الرمز مع شكل المصنع, أو التفاعل معه, ما لم يعي المتلقي تلك الدلالة ويقبل بها كمعّوم في هويته, وخلاف ذلك ففي حالة المصنع الذي لا يحمل إشارة كان قد قبل بها الفرد مقوما في هويته, أو لا توحي له بمعنى يخص هويته, تبقى هذه الإشارات مجرد شكل مؤشر لدلالة أخرى غير رمزية[٢٣].

ولغرض توليد شكلية الرمز للوجود المادي هناك ثلاث حركات متعاقبة في نقل الفكر من مرحلة إلى أخرى، وفي تغيير المادة من حالة إلى أخرى، وهي في الوقت عينه حركات فكرية متداخلة ومتفاعلة، وتضم أولا آلية توليد الشكل وتأسيس المرجعية المشتركة وثانيا آلية ابتكار شكلية المعالم، وثالثا آلية الاتصال[٢٤].

- **المرحلة الأولى**: في هذه المرحلة تتبلور وتحدد رؤية واضحة نسبيا لماهية الرمز، ويتعين أن يكون المتلقي في هذه الحالة، هو الكيان الجمعي. وعند ذلك يكتسب هذا المفهوم صفة الحاجة الجمعية، أو هما جمعيا، فيبتكر الأداة المناسبة لإطفاء حاجة تجسيده أو تمثيله بجسد مادي ملموس. إلا إن ابتكار شكلية هذا التجسيد تتحقق فقط في خلوة مخاضه فكرية لأحد أفراد الجماعة، فيكون هنا مصدر ابتكار الشكلية هو فكر الفرد المؤدي الرؤيوي نيابة عن الجماعة. وهنا بتفاعل الصورة الجمعية للرمز مع موهبة الفرد الرؤيوي تبتكر هذه الموهبة المتفردة صورة جسدية وهي بأفعالها هذا تكون في تفاعل جدلي مع الفكر الجمعي الذي يؤلف المرجعية المشتركة.
- **المرحلة الثانية (مرحلة التصنيع)**: تبدأ الحركة الثانية عند نقل صورة شكلية تجسد الرمز إلى هذه المرحلة، وعند تلقي الفرد المؤدي هذه الصورة، فيقدم هذا المؤدي ويفاعل المادة الخام، ويحول شكلية الصورة من موقعها في المخيلة إلى معالم مادية وفي واقعية العالم المحسوس. وهنا تنتهي مرحلة التصنيع وتبدأ مرحلة التلقي.
- **المرحلة الثالثة (مرحلة التلقي)**: في هذه المرحلة تتحقق مواجهة واقعية بين المؤدي المتلقي، فردا أو جماعة، والمعالم المادية التي يحملها المصنع كأداة إطفاء الحاجة. وهنا يتحقق تفاعل بين مفهوم كيان الرمز وقواه وموقعه في هوية الفرد المتلقي، ومفهوم الرمز أو المؤشرات التي تم تحويلها إلى معالم اخذ يحملها المصنع في مقابل هذا التفاعل. وبقدر ما يكون هذا التفاعل بينهما فعالا ومؤثرا، يحقق الفرد المتلقي إطفاء حاجة الرمزية.

إن وظيفة هذه الحركات الثلاث هي تحويل رؤية تجسيد كيان الرمز إلى معالم مادية، كنقل هذه الرؤية إلى شكلية مبنى أو تمثال أو تخطيط ويمثله وبالتالي تسخير هذه المعالم المادية كأداة في إطفاء حاجة المؤدي المتلقي في دعم هويته. وعن طريق هذا الاقتران يبين الشكل والمعنى والربط بينهما، يحقق الفكر آلية اتصال بين فكر وفكر آخر عن طريق شكليات يطبعها على المادة الجامعة، ويعتبرها مؤشرات بدلالات معينة، وبهذا الترابط يحقق الفكر معالم كمؤشرات لبعض المفاهيم. وتصبح هذه المؤشرات واسطة إيصال المعنى إلى المتلقي باعتبار أن كليهما أي المرسل والمرسل إليه كانا قد اتفقا مسبقا على معنى الإشارة وبهذا الاتفاق المسبق يصبح الاتصال بين الطرفين المتحاورين ممكنا.

٣. العولمة الثقافية وهوية المدينة العربية

تمثل المدن أعظم انجازات الحضارة الإنسانية وهي ناتج تفاعل القيم الفكرية المعنوية من جهة والمادية الفيزيائية من جهة أخرى كجانبين لظاهرة واحدة ديناميكية متعددة الأوجه، فيكون شكل المدينة الناتج وطبيعة الهيئة الحضرية لقطاعاتها بالتالي تعبيرا عن القيم الفكرية السابقة والحاضرة للمجتمع.

إن الهيئة الحضرية لا تشكل بترتيب وتجميع الأشكال المجردة والطبيعية العضوية فحسب بل للمفاهيم والقيم الفكرية التي تعكسها أشكال الكتل والفضاءات وأنماط المختلفة.

ورغم المحاولات العديدة التي أجريت في هذا المجال لا تزال الكثير من البيئات الحضرية تعاني من مشكلة التفكك والتي تتوضح مظاهرها في جوانب عديدة منها انعدام الإحساس بالمكان وفقدان الهوية الحضرية والتوتر الاجتماعي والشعور بعدم الانتماء للبيئة الحضرية. إن اغلب هذه المظاهر ناتجة عن ذلك الخليط الهجين لعناصر ومكونات الهيئة الحضرية.

إن تناول هوية أي مدينة للبحث يتطلب النظر في خلفياتها التاريخية، وتحليل المقومات الفكرية والمادية والاجتماعية القائمة عليها، والتي ترتكز بمجموعها على عقيدة فكرية وثقافية معينة. والمدينة عموما في الوطن العربي لا تشذ عن هذه القاعدة ولكن علينا أن نضيف في هذه الحالة بأن الخلفية الفكرية هي العقيدة الإسلامية.

وتعتبر المدينة العربية الإسلامية ناتجة عن تفاعل الإنسان مع العوامل البيئة (الثقافية والطبيعية) وبهذا التفاعل تم صياغة النسيج الحضري للمدينة العربية، فهو يمثل سمة مميزة للمدن العربية، لذا تحاول العولمة الثقافية في الولوج في إلى هذا النسيج محاولة تذويب هذا التفاعل الإنساني والبيئي لكي تتمكن من صياغة وفق النموذج الكوني الأمريكي الذي تسعى إليه دوماً. وخصوصا إذا عرفنا بأن النسيج الحضري يمثل المشاهدة والرؤية المتكاملة لمجمل التأثيرات البصرية والحسية لمكونات المدينة من خلال التعريفات التالية: فلقد عرفه بسيم حكيم بأنه تنظيم عناصر البيئة الفيزياوية في المدينة والتي تسهم في بناء هويتها وشخصيتها الحضرية المميزة، حيث تبلور هذه العناصر

الصورة الحضرية والحسية المتكاملة[٢٥]، وكذلك فقد عرفه ادون (Edwin) كل ما يظهر من المدينة وتشاهده العين وتدركه الإحساس وتتفاعل معه في الهيئة الحضرية من خلال الإحساس بالوحدة وبالمكان وبالتجربة الإنسانية عبر مفاهيم عدة كالتجانس والتكامل والتنظيم الحسي والبصري[٢٦].

ومن ذلك نستدل بأن النسيج الحضري لمجتمع معين جاء كرد فعل للمتطلبات الزمانية والمكانية وجاءت الأبنية منسجمة مع العامل الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يخص ذلك الشعب، أو تلك الأمة وتعتبر تلك الحالة هي الحالة المثالية للنسيج وتعبر تعبيرا صادقا عن حال وواقع المجتمع وتلبية متطلباته.

وبما أن المتطلبات الزمانية والمكانية هي دائمة التغير نتيجة تغيرات الحياة بشكلها العام لذلك سوف ينعكس كل ذلك بشكل أو بآخر على ذلك النسيج، ولكن هذا لا يعني نسيان ما موجود من تجارب الآباء والأجداد.

فمفهوم النسيج بحد ذاته هو تراكم التجارب التخطيطية والتصميمية للحصول على نمط يميز كل منطقة عن غيرها من المناطق.

مميزات وخصوصية المدينة العربية الإسلامية

سنحاول في هذه الفقرة توضيح مميزات وخصوصية التفاعل البيئي للإنسان في المدينة العربية الإسلامية، وما هي عوامله وخصائصه للاستعانة به في تقوية الهوية العربية للمدينة العربية المعاصرة ولمواجهة تحديات العولمة الثقافية. فالتكوين الشكلي والفضائي للمدينة العربية الإسلامية (النسيج الحضري) لم يكن نتيجة عفوية، بل جاء نتيجة طبيعية لتفاعل الإنسان مع البيئة الثقافية والطبيعية .. وهذه النتيجة هي حصيلة تجارب وممارسات لعب الزمان والمكان دورا أساسيا في بلورتها مما أعطى للنسيج الحضري خصوصياته ومميزاته، حيث أن تفاعل الإنسان مع العوامل البيئة (الثقافية والطبيعية) في صياغة وتشكيل النسيج الحضري المميز للمدينة العربية الإسلامية يعتبر الأساس لنمو وصياغة المدن العربية المعاصرة، وذلك لأن البيئة الصحراوية هي ثابتة، أما البيئة الثقافية فهي متغيرة تبعا لإطار الزمان والمكان الذي تمثله ولكنها تبقى مصاغة في قالب الثقافة الإسلامية والعربية. ويمثل الدين الإسلامي العامل الأساسي (من بين عوامل البيئة الثقافية) في التأثير والتفاعل مع عوامل البيئة الطبيعية لتشكيل النسيج الحضري والتكوين الفضائي للمدينة العربية الإسلامية بينما تؤثر بقية العوامل وبدرجات متفاوتة وصيغ متفاعلة لتعزيز العامل الأساسي.

والمدينة العربية الإسلامية هي ناتج لتفاعل مقومات وأفكار الحضارة العربية الإسلامية مع الثقافات المحلية والظروف البيئة والمناخية السائدة، حيث تنتج الشخصية الحضارية من تفاعل التشريع والسلوكيات مع الثقافات

المحلية للبيئة، فيتميز مجتمع إسلامي محلي عن آخر[٢٧] وتتميز تبعا لذلك مدينة عن أخرى مع اشتراك المدن المختلفة في العالم الإسلامي بطابع حضري ومشهد حضري واحد.

إن ذلك يظهر واضحا من خلال مستويات التعبير عن سلوك وحضارة مجتمع المدينة العربية الإسلامية، وبدراسة النمط العمراني الإسلامي التقليدي من خلال الهيكل الثقافي – الاجتماعي وأنشطة يتضح أن الحاجة إلى التحكم في السلوك والاتصال الجماعي يعتبران من أهم المحددات لتصميم الفضاءات، ابتداءاً من تصميم الغرف في المسكن وحتى تجمع المساكن مع بعضها لتشكيل هيكل النسيج الحضري[٢٨]. وتأخذ العلاقات الاجتماعية والتماسك الاجتماعي أهميتها في المجتمع على الأساس من الروابط الروحية – الجماعية، حيث يرى الكثير من الباحثين أن الشكل المادي – الفيزيائي يعطي الدلالة على مدى قوة العلاقات الإنسانية وتماسكها في المجتمع[٢٩] لذلك كانت للتعاليم الدينية أحيانا أثرها المباشر في تنظيم العمران وبلورة شخصية معينة للعمارة ويظهر هذا الأثر بقوة في العمارة الإسلامية. فالمدينة العربية الإسلامية تتكون من مجموعة من المحلات السكنية المتمايزة فيما بينها، والمتألقة من مجاميع من الدور السكنية المتكتلة، حيث تشترك المناطق السكنية جميعها بسيادة روح التالف والتجانس مع بعضها من جهة، ومع باقي مكونات وأجزاء المدينة العربية من جهة أخرى وذلك من خلال أسلوب التخطيط العضوي الذي يستجيب للسلوك الفطري – الانسيابي الذي يسود أفراد المجتمع العربي المسلم، حيث التفاعل الحيوي المستمر بين مكونات المدينة والمحيط بكل ما يعنيه هذا التفاعل من معنى. وتتحقق هذه العضوية في احترام المناخ، لينعكس على الهيكل التنظيمي للمدينة، في شوارعها وأزقتها المحدودة العرض والمحمية بجدران الواجهات التي يمنحها الظل، فحققت تلك الشوارع اكبر قدر من شروط الملائمة المناخية، وهكذا شأن الأسواق التقليدية المسقفة التي تؤمن حماية من جهة وتساعد في تكوين ظروف مناخية محلية مريحة.

إن الأحياء السكنية في جميع تلك المدن تمثل المحيط العمراني ذو الارتفاع الواطئ الذي يلتف ويحيط بمركز المدينة المؤلف من المسجد الجامع ودار الأمارة، واللذين يقعان على المحور الرئيسي للحركة التي تخترق المدينة، وعلى جانبي هذا المحور الرئيس للحركة التي تخترق المدينة تقع الخانات والدكاكين والمحلات التجارية من دار الأمارة، فإن مناطقها السكنية بقيت تلتف حول المسجد الجامع، الذي يرتفع بقبته ومنارته ليهيمن على خط سماء المدينة، فهو الذي يمثل القيم الثابتة في الإسلام وأن كل ذلك يدلل بأن الهيكل الحضري للمدينة العربية الإسلامية يتحدد أساسا بتأثير القيم الدينية والمبادئ والقيم الأخلاقية والروحية التي انبثقت مباشرة من الإيمان بالإسلام، الذي لا يمكن أن تستوعبه العولمة ولا تستطيع بوسائلها التقنية والتكنولوجية تغيير ذلك.

وفيما يلي شرح موجز لتأثير العوامل المختلفة على صياغة وتشكيل النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية:

١. **تأثير العقيدة الإسلامية:** يعتبر العامل الديني عاملاً أساسياً في نشوء وتطور الكثير من المدن في التاريخ، حيث أن هناك علاقة قديمة بين الدين والمجتمعات الحضرية، فالدين بطبيعة عملية اجتماعية جماعية يتطلب شيء من الاستقرار والتحضر. منذ القدم كثيرا ما نشأت المدن الدينية حول نواة هي في الأصل رمز مقدس لأحد الآلهة أو ضريح لأحد الأولياء الصالحين. وهذه النواة هي أول مظهر لنشوء المدينة ومن ثم تتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية حولها. ولعب الدين الإسلامي دورا مهما في تطور وتركيب هيكلها الحضري بكل عناصره، حيث تبرز أهمية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية في طبيعة الفعاليات التي يتطلبها وذلك من خلال توزيع استعمالات الأرض ونظام الحركة فيها وهي العناصر التي تنظم بنمط يؤكد على أهمية موقع هذه المؤسسات. وهناك حقيقة متمثلة في أن البيئة الحضرية تنظم في أي مستوى بتأثير فكرة قوية مستمدة من الأجواء الروحية والدنيوية في حياة الإنسان، وبموجب هذه الفكرة تكسب كل من مواد البناء والمباني والطرق والساحات المعاني التي تساعد الفرد والأسرة والمجتمع في توجيه وتعريف أنفسهم ضمن إطار محلي يبرز أبعادا عمرانية ممتدة بصورة متناهية في العالم الروحي وهذا ما يستند عليه تخطيط وتصميم المدينة العربية الإسلامية.

٢. **النظرة التاريخية (تأثير الحضارات التي سبقت الإسلام):** مما لا يخفى على الكثيرين منا أن المدينة العربية الإسلامية نشأت في بقية من الأرض شهدت حضارات عظيمة مثل وادي الرافدين ووادي النيل وغيرها. هذه الحضارات قبل الإسلام كانت قد شيدت مدنا كبيرة واستخدمت وطورت أنماطا حضرية معينة. وقد استمدت المدينة العربية الإسلامية روحها من الدين الإسلامي وجسمها من تراث الحضارات السابقة. ولقد انتقت من هذا التراث ما يلائمها لإبراز روحها ونلاحظ أن لتلك الحضارات تأثير كبير على العرب والمسلمين الفاتحين.

إن ظهور الإسلام في البلاد العربية التي تمتاز بالعمق الحضاري ساعد المسلمين على الاستفادة مما وصلت إليه الحضارات السابقة وتطوير ما أخذوه بما يتلاءم وتعاليم الدين الإسلامي ومبادئه السامية.

٣. **تأثير الجوانب الاجتماعية:** إن الشريعة الإسلامية نظمت العلاقة بين الإسلام والإنسان وخالقه .. كما حددت العلاقة بين الإنسان والإنسان والتي تهدف إلى تحقيق التماسك الاجتماعي والأسري. لذا نلاحظ أن الهياكل الاجتماعية للمدينة العربية الإسلامية, تتميز بعلاقات إنسانية حقيقية وذلك من خلال مفهوم الاحتواء الذي يعبر عنه التوجه نحو الداخل وعزل البيئة الخارجية, فإنه في الوقت نفسه يتضمن مفهوم الاشتراك والتجمع والانتقاء, وهي التصورات التي يمكن أن تجدها في العناصر الأساسية للتكوين الفضائي للنسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية.

ففضاء الجامع أو المدرسة مثلاً يعزل الفرد عن المظاهر المادية للعالم الخارجي ويعمل على تحديد فضاء مخصص للعبادة والصلاة والتأمل بالنسبة للجامع, أو مخصص للحث على التركيز على الدراسة والتعلم بالنسبة للمدرسة. ويعتبر الجامع المكان الذي تحتك فيه القطاعات المختلفة من المجتمع الحضري مع بعضها كما أن السوق وهو مركز الفعاليات التجارية يلعب دورا مهما في احتكاك أفراد المجتمع على اختلاف شرائحهم, وفي ربط المدينة وتكاملها مع مجاوراتها, بحيث أن إدارة التجارة في المدينة العربية قد ساعدت في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة. وإن شكل النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية قد اخذ بنظر الاعتبار الفرق بين الرجل والمرأة, وهو التميز, الذي أوجده المجتمع العربي الإسلامية والمرتبط بالدور الذي يؤديه كل منهما في الحياة اليومية, فدور الرجل يكون في العمل والاتصال مع الآخرين بمختلف صوره وهذا ما يقترن بالفضاءات العامة والخارجية مثل الممرات, أما المرأة فإن دورها يكون في المنزل وفضاءاته المختلفة, وهذا ما ينعكس على ثبوتية واستقرار تلك الفضاءات والفضاء الداخلي.

إن هذا يؤدي إلى ثنائية وازدواجية الصفات تطبع الشخصية الحضرية وتخلق نوعا من الثنائية في منطق الفضاءات الحضرية, ففي المركز محل التبادل والاحتكاك, نجد أن منطق الذكور هو السائر في شبكة الفضاءات الحضرية, بينما نجد أن منطق الإناث هو السائد في النسيج السكني[٣٠]. إن أكثر الملامح تميزا في المجتمع الإسلامي هي فكرة (الأمة) وهو المجتمع الذي يستند إلى مبدأ الإيمان, أكثر من العشيرة أو الأسرة, كرابطة واحدة اجتماعية, ويرادف ذلك مبدأ الوحدة, فالإسلام دين التوحيد, الذي تهدف العديد من المبادئ فيه إلى تقوية الإيمان وتحقيق مجتمع مترابط[٣١].

أما الشكل الآخر من أشكال التنظيم الاجتماعي الذي تطور في المدينة العربية الإسلامية ولازال قائما في معظمها فهو نظام المحلات السكنية والقطاع, فالمحلة السكنية يسكنها سكان متجانسون في الدين, الأصل القومي, المهنة ويجد فيه كل فرد الروابط الاجتماعية القوية والأليفة[٣٢].

وبما أن النمط السكني يتميز بانفصال المجاميع السكنية بحيث أن القطاعات يسكنها مجموعة متجانسة, فإن عدد القطاعات في المدينة يعتمد بالدرجة الأساس على درجة التعدد أو الاختلاف الاجتماعي لسكانها[٣٣].

وان التجانس بين سكان القطاعات كان يستند بالدرجة الأولى على أساس ديني واسري وليس على أساس الثراء, مما ساهم في اختلاط السكان بمستويات دخولهم المختلفة معطيا المجتمع الإسلامي بعدا إنسانيا[٣٤].

وفي إطار المجتمع نجد عدة مستويات للعلاقات الاجتماعية مما يستلزم إيجاد قدر من التحكم في الاحتكاك الاجتماعي,وأستطاع المجتمع الإسلامي إن يلبي احتياجاته من خلال تنظيم الفضاءات للنسيج الحضري في تدرج مرتبي من العام إلى الخاص على أن يحكم هذا التدرج المداخل ومحاور الحركة التي تحكم الصلات الاجتماعية، دون المساس بحرمة السكان، حيث كان هناك تدرج في درجة عمومية الفضاء ابتدأ من العام الذي يمر

بضمن المسجد الجامع للمدينة والأسواق المحيطة به ويمتاز بانتظام شكله الهندسي وقلة تعرجه وسعته إذا يهيئ مكانا للتفاعل الاجتماعي على مستوى المدينة فشبه العام الذي يتقاطع مع الشريان العام ويعمل على ربط قطاعات المدينة السكنية محققا بذلك تفاعلا اجتماعيا بين سكانها وموفرا في نفس الوقت الخصوصية والأمان بعيدا عن زحمة وفعالية الشريان الرئيسي ويكون أكثر تعرجا وأقل سعة وغالبا ما يتصل بمسجد الحي ثم تتفرع منه أزقة أكثر تعرجا وضيقا مشكلة فضاءاً شبه خاص لسكنه الحي والتي ينتهي بعضها بنهاية مقفلة وبدورها تتصل عبر فضاء المدخل الذي مثل منطقة التحول الممكنة التي تكمن خلفها خصوصية حياة الأسرة، بالفضاء الداخلي للمسكن (الفضاء الخاص). هذا وأن ضيق الأزقة وتعرجها لا يشجع الغرباء على اختراقها مما يعزز العلاقات الاجتماعية بين الأسر المتجاورة من خلال هذا التدرج الفضائي الذي وفر الخصوصية والأمان، فمن المنزل سور الأسرة الخاص إلى المحلة سور لعدد من الأسر، ومن الحي المغلق على نفسه إلى المدينة بأكملها.

إن العادات والتقاليد التي تبلورت بشكل متوارث بتأثير الحضارات التي مرت على المنطقة على مر العصور أثرت في العلاقات الاجتماعية، مما انعكس في السلوك الاجتماعي في صياغة وتشكيل النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية من خلال الحلول المألوفة لأفراد المجتمع والنابعة من تعاليم الدين الإسلامي وبشكل يتلاءم ويتجاوب مع مشكلات المجتمع ويتفق مع العادات والتقاليد وسلوكيات الإنسان في المجتمع.

إن ارتباط المجتمع بالعادات والتقاليد يختلف من مجتمع إلى آخر وحسب مدى تأثره بالحضارات التي تعاقبت عليه. وهذا قد انعكس على المراحل المتعاقبة لنمو المدينة من خلال التكوين الفضائي للنسيج الحضري وارتباطاته، حيث يمكن استقراء تاريخ المدينة العربية الإسلامية ليس فقط في الكيان العمراني لإحيائها المختلفة وفضاءاتها العامة، ولكن أيضا في حياة الفرد وعلاقاته الإنسانية وتكويناته الاجتماعية[٣٥].

١. **تأثير التكنولوجيا ومواد البناء:** لقد ارتبط التشكيل الحضري والمعماري للمدينة وخاصة في الفترات الأولى من التاريخ بمادة البناء المحلية وبتكنولوجيا الإنشاء التي ابتكرها الإنسان في تلك الأزمان وبتصوره الفراغي للمكان، وبعوامل أخرى[٣٦].

إن طبعة المادة الإنشائية وخصائصها هي التي حددت الأشكال المعمارية منذ البدء. وإن عوامل البيئة الطبيعة التي نشأت فيها المدن العربية الإسلامية فرضت المواد المتوفرة، حيث أن توفر مادة الطين في بلاد العرب أدى إلى استخدام هذه المادة في صناعة الآجر. وبالتالي تشييد الأبنية بالآجر وحسب قدرات الإنسان والتكنولوجيا المتاحة له آنذاك. إن التكنولوجيا السائدة في تشييد الأبنية المختلفة في العمارة العربية الإسلامية والمواد المتوفرة المتمثلة باستخدام الطين المفخور أو غير المفخور أدت إلى ظهور أشكال تعبيرية معمارية متميزة ومؤثرة في التكوينات الفضائية والحضرية للنسيج الحضري كأنواع العقود والقباب[٣٧] بالشكل الذي ساهم في تأكيد أصالة المدينة الإسلامية وخصائصها المميزة. وأن المعمار العربي المسلم قد صمم الواجهات الخارجية

للمساكن بأنها تتميز ببساطتها وعدم إظهار أي معالجات معمارية تدل على الثراء وذلك من خلال استعمال مواد ومعالجات متشابهة مما يعكس التعبير عن الهوية والارتباط العام ضمن المجتمع. أما في الفضاء الداخلي فيمكن أن تستعمل كل المعالجات والزخرفة والتي تتطلب رؤيتها الدخول إلى قلب المسكن. أن ذلك التناقض في المعالجات الخارجية يمكن تمييزه على مستوى جميع التفاصيل ولعموم النسيج الحضري للمحلة السكنية والمدينة العربية الإسلامية.

٢. **تأثير اعتماد المقياس الإنساني في تشكيلها:** اعتمدت المدينة الإسلامية المقياس الإنساني في تشكيلها وتوسيعها، وهو مقياس ينبع من احتياجات الإنسان المادية والحسية، وقد قوى هذا المقياس تعاطف الإنسان مع محيطه وعمق اتصاله بالماضي. والمقياس الإنساني يظهر في الامتداد الأفقي لإحياء المدينة وفي الارتفاع الملائم لواجهات العناصر العمرانية المطلة على الأزقة والمحاور التقليدية. كما ويظهر في السلوكية الاجتماعية التي تفرضها المسالك الضيقة على المارة والسكان. ويبدو إن التكوين العضوي ناسب حياة المسلم وساعد في تحقيق الإلهام الروحي [٣٨]. ونرى ذلك واضحا عندما سكن المسلم في المدن التي خططها الإغريق أو الرومان مثل دمشق، أو حلب تخطيطا شبكيا عالي التنسيق، حيث رفض المسلمون هذا التخطيط وعملوا على تغير أدائه في بلادهم. وتمثل هذه المسالك الضيقة الاستجابة العقلانية لنمط الحياة السكنية الذي كان يركز على الرغم من اختلافه على مدى أقطار العالم الإسلامي – على الفضاءات الداخلية للسكن ويهمل الواجهة الخارجية التي اتسمت ببساطة معالجتها المعمارية، كما أنها تمثل احد أسباب التجاوب مع متطلبات المناخ وتوفر الفضاء، وبواسطة مقياسها الإنساني، تمثل عنصرا من عناصر المعيشة ووحدة الجيرة السكنية والوحدة العمرانية للمدينة التي تبدو واضحة للناظر عند دخوله ضمن حدودها.

إن هذا النمط من التكوين قد تطور أيضا كأسلوب للتعبير عن الوحدة والانفراد والتميز ولتكوين نمط من الترتيب يمتلك خاصية التوجه نحو الداخل كما أن له مضامين اجتماعية.

إن الوحدة على المستوى الأفقي لكافة الأفراد في الإسلام (علاقة الإنسان بأخيه الإنسان) تعتبر ضرورة مسبقة للعلاقة العمودية (علاقة الإنسان بربه).

وينعكس ذلك في العمارة التقليدية للنسيج الحضري في المدينة العربية الإسلامية من خلال الإدراك بأن الفضاءات الداخلية في السكن لا يمكن أن تؤدي وظيفتها اجتماعيا ومناخيا بنجاح دون درجة عالية من الارتباط بينها وبين بقية مكونات النسيج الحضري المتراصف والمتداخل.

وفي تشكيل النسيج الحضري في المدينة العربية الإسلامية توجد علاقة بين الحاوي والمحتوى من حيث علاقته بالبعدين الأفقي والعمودي. في هذه الحالة يمثل الحاوي الفضاءات المعمارية والحضرية بينما يمثل الإنسان بأبعاده الفيزياوية وأحاسيسه الإنسانية المحتوى لهذه الفضاءات.

إن هذه العلاقة متمثلة في جميع مستويات التكوين الفضائي العامة والخاصة والتفصيلية. فعلى المستوى العام يتحدد حجم المدينة العربية الإسلامية وإبعادها بالدرجة الأولى بإمكانية حركة السابلة, أما على المستوى الخاص، فأننا نرى إن حجم الفضاءات العامة من أبنية وساحات وطرق وأزقة وأبعادها الأفقية، إضافة إلى الإبعاد العمودية للأبنية المطلة عليها جميعا ذات مقاييس إنسانية. في حين تكون أجزاء الأبنية وتفاصيلها من فتحات ومداخل وفضاءات داخلية ذات أبعاد مكافئة لأبعاد جسم الإنسان. وان مفاهيم الدين الإسلامي وتشريعاته كان لها دور كبير في وجود هذه الخاصية في مدننا العربية الإسلامية، حيث إن مفاهيم الجوار، صلاة الجماعة، تحقيق الخصوصية، وعدم الشرفية وغيرها من التعاليم الدينية قد أثرت في تكوين هذا النسيج الحضري في المدينة العربية الإسلامية. وكذلك يظهر تأثير المقياس الإنساني على المستوى التفصيلي وذلك من خلال تصميم الفضاءات المفتوحة والفضاءات الداخلية التي تنبض بأحاسيس حية يغمرها الدفء والسكينة وعلاقة واضحة بالانتماء إلى هذا الفضاء ناتج عن العلاقة بين مقياس الإنسان والفضاء.

٣. **تأثير عوامل البيئة الطبيعة:** تمثل عوامل البيئة الطبيعية الشق الثابت من البيئة الحضرية العامة التي تؤثر في صياغة تشكيل النسيج الحضري. ورغم تأثير عوامل البيئة الطبيعية في تنظيم وتوزيع الفضاءات والكتل البنائية ضمن النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية، إلا أنها لا تقرر الشكل النهائي للنسيج الحضري حيث أملت عوامل البيئة الطبيعة (بالتفاعل مع البيئة الثقافية) نسيج حضري كثيف ومتراص الأجزاء في المدينة العربية الإسلامية بحيث تتعرض أقل مساحة ممكنة لأشعة الشمس المباشرة وتكون القاعدة هناك هي تحقيق أكبر حجم داخلي بأقل درجة مساحة خارجية، وساعد هذا التكوين على توفير اكبر قدر ممكن من الظلال وتقليل انعكاسات الإشعاع الشمسي التي ترفع من درجة حرارة الهواء، مما أدى إلى تقليل الطاقة الحرارية النافذة إلى المباني وخفض درجة حرارة الهواء في الأزقة الضيقة مقارنة بدرجة الحرارة في الفضاءات الداخلية المفتوحة التي تستلم كمية أشعاع شمسي أكبر من الزقاق مما يؤدي إلى تخلخل وانخفاض في الضغط الجوي داخل الفناء مقارنة بالزقاق، وساعد هذا الاختلاف في معدلات درجات الحرارة خلال النهار على خلق تيارات هوائية تعمل على تلطيف المناخ في المدينة. في حين تنعكس العملية في الليل بسبب سرعة الفضاء في تصريف الحرارة المنبعثة في الهيكل الإنشائي لسعة حجمه الفضائي مقارنة بالزقاق، هذا بالإضافة إلى دور المعالجات المعمارية المكملة (كالبادكيرات، والشناشيل، ومواد البناء المستخدمة ... الخ).

٤. **تأثير الاتجاهية والمحورية:** تتميز معظم العناصر التخطيطية المكونة للنسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية بالتوجه نحو الداخل، حيث أن المظهر العام للمدينة يظهر أن كل عنصر من هذه العناصر يعطي اتجاها ذا معنى معين. غير إن الاتجاهية الأكثر تأثيراً في التكوين الفضائي للنسيج الحضري للمدينة، هي توجيه المسجد الجامع إلى الكعبة، فالمحور الخفي الذي يتوجه نحو الكعبة يحدد توجيه المسجد وبالتالي يتحدد اتجاه

واستقامة الشوارع الرئيسية التي تتقاطع في المركز عند المسجد الجامع. وهذا الجانب لا تستطيع أن تمحوه العولمة، فالمدينة العربية الإسلامية المعاصرة أن تنازلت عن عناصر التخطيط السابقة جزئياً فهي لا تستطيع أن تتجاهل أو تتنازل عن محوريتها الاتجاهية نحو "المسجد الجامع".

٥. **تأثير الإيقاع:** ينتج هذا الإيقاع من ميزة تكوين الفضاء في النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية ,إذ نجد العفوية والحرية ضمن الالتزام التقليدي العام للتخطيط, ونجد التنوع ضمن الوحدة العامة, فالفضاء يضيق تارة ويتسع أخرى, ويمتد مستقيما وينحني, وهناك محطات توقف واحتواء وانتقال من فضاء إلى آخر, وكل هذا ضمن إيقاع طبيعي تلقائي. وهذا الإيقاع يعبر عنه سارينيين[٣٩] "بالاكتفاء اللاشعوري الذي تشهده بيئة الفرد المعمارية وهو بالذات ما نعنيه بالعيش في وسط معماري" ويرتبط هذا الإيقاع بطبيعة الحركة في الفضاء ففي الأزقة تكون الحركة حرة وهذا انعكس على تصميم واجهات الأبنية على جانبي الزقاق ككل, فهي ليست (نحتية) ينظر إليها من الأمام لأنها مشيدة في دهاليز مستمرة, ويتعرض المار في هذه الأزقة إلى تنويع في كل خطوة يخطوها بل حتى عندما ينظر المرء إلى الأمام وإلى الوراء أو إلى الأعلى.

وأما الفناء الداخلي فالحركة فيه خاص بمستخدميه, فهو موجه بوجهة نظر أصحابه وبما يؤديه من وظائف, وعليه تختلف فيه المعالجات المعمارية للواجهات, والسبب الآخر في اختلاف وتميز واجهات الفناءات الداخلية هو الشكل الهندسي المحدد والفضاء المحصور مما يجعل الفضاءات بمجموعها في المدينة تعطي إيقاعات فضائية مختلفة.

من كل ما جاء في أعلاه, نرى أن النسيج الحضري يتكون من عنصرين هما الكتلة والفضاء. وان نمط العلاقة بينهما يؤشر لنمط العلاقة بين الإنسان والمجتمع, حيث تمثل الكتلة الجانب المادي ويمثل الفضاء الجانب الروحي والمعنوي. و المدينة العربية الإسلامية تتميز بتداخل الجسد مع الروح في نسيج متراص في علاقة يكمل فيها احدهما الآخر. وبما أن العولمة أو ثورة المعلومات التي افرزها القرن العشرين والتي أتت بمفاهيم سرعة إيصال المعلومات وربطت العالم بأسره بأبعاد المعلوماتية لاختصار الزمن والمكان من خلال الكم الهائل من المعلوماتية التي تطلقه والأساليب الاتصالية التي تختصر المكان بصورة أسطورية (مكونة من قرية كونية) ... يمكن استغلال هذا الجانب منها للتخلص من الشوارع العريضة التي تخترق المدينة العربية المعاصرة والتي لوثت بيئتها بعوادمها وذلك من خلال استلهام الأفكار التخطيطية والتصميمية للمدينة العربية الإسلامية مع انتقاء أو استنباط المعالجات البيئية الملائمة لروح عصرنا وخصوصا إمكانية عودة الأزقة الملتوية المتعرجة لبعض المناطق في المدينة مثل (الأحياء السكنية) عند القيام بتخطيط وتصميم المدينة العربية الإسلامية المعاصرة بعد أن حلت تكنولوجيا الأرقام والاتصال عن طريق ما يسمى بشبكة المعلومات محل تكنولوجيا السيارات التي جاءت في بداية القرن المنصرم.

العولمة والاختراق الثقافي

استعرضنا في ما تقدم مفهوم الحضارة, مستشهدين بآراء ابن "خلدون" في محاولة لفهم العلاقة بينهما وبين العمارة, ثم تناولنا عرضا بسيطا للعلاقة بين العمارة وهوية الفرد وعلاقتهما بالرمز والحاجة الرمزية, بقصد الإشارة لوجود علاقة ضمنية بين كل من هذه العناصر مؤثرة ومتأثرة بكل منها على الأخرى.

وسنتناول في هذه المرحلة من الدراسة عرض المفاهيم عن الثقافة وعلاقتها بالحضارة واستعراض بعض المفردات والمؤشرات ذات الصلة بالمفهوم.

فبالنسبة للثقافة هنالك العديد من المفاهيم نتناول منها التالي[٤١]:

- الثقافة هي ثمرة المعايشة الحية التلقائية في اغلب الأحيان, وهي ثمرة التمرس بالحياة والتفاعل مع تجاربها وخبراتها المختلفة. وقد يكون التعليم احد مصادرها.
- وتعرف الثقافة في علم الاجتماع بأنها البيئة التي خلقها الإنسان بما فيها المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى آخر, فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنية للسلوك المكتسب عن طريق الرموز والذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم وقوانين وعادات وغير ذلك.
- هي هذا الكل المعقد من المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعرف والعادات وكل ما يمكن أن ينتقل للإنسان عن مجتمعه.

كما سنورد أيضا تعريفات أخرى لابد منها[٤٢]:

١. **الثقافة بالمعنى التقليدي:** تعني النتاج الأدبي والفكري والفني.
٢. **الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي الموسع:** تعني أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات التي تميزه من سواه.
٣. **الثقافة اليوم:** اتسع معنى الثقافة في العقود الأخيرة, فأصبحت تعني جملة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون أساس الرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم والتي تنبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية يفتني عبر الزمن ويغدو في الذاكرة الفردية والجماعية إرثا ثقافيا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة هو الذي تبنى على أساسه مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد.
٤. **الثقافة والحضارة:** هذان المفهومان يكادان يندمجان, بعد إن اتسع معنى الثقافة كما ذكرنا, وغدت هي الثقافة بالمعنى للكلمة (الحضارة نتاج الثقافة), وغداة كلا اللفظين يضم "القيم والمعايير والمؤسسات وأنماط التفكير التي أولتها أجيال متتالية, في مجتمع أو امة معينة, أهمية ماسة" ومن هنا يرى باحثون من أمثال داوسون الحضارة نتاج عملية مبتكرة من الإبداع الثقافي الذي قدمه شعب معين. وجميع حضارات اليوم

حضارات وجدت منذ أكثر من ألف عام, ولئن كانت الحضارات تبقى وتستمر, فأنها تتطور أيضا. أنها ديناميكية, أنها تولد وتموت, تمتزج وتنفصل.

٥. **أسباب نشوء الحضارات وسقوطها:** في رأي توينبي (Tounbe) على سبيل المثال: "تنفتح الحضارة نتيجة استجابتها للتحديات".

٦. يجمع الباحثون بوجود حضارة إسلامية متميزة تميزا واضحا, وفي هذه الحضارة الإسلامية عدة ثقافات أو حضارات فرعية: الثقافة العربية, الثقافة التركية, الثقافة الفارسية, ويضيف بعضهم الثقافة الماليزية.

وأما الجراح فيذكر بان الثقافة تشمل جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية ووجدانية وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها. وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والمعرفي والتقني, وسبل السلوك والتصرف والتعبير وأنماط الحياة. كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته إعادة النظر في منجزاته والبحث الدائب عن مولدات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به إلى ذاته[٤٣].

وهنا نعود لـ"أبن خلدون" حيث يتطرق إلى ظاهرة التقليد والتأثر الحضاري وصولا إلى التبعية الحضارية التي يعتبرها كنتيجة للغلبة والهيمنة السياسية:

"ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وإشكالها, بل وفي سائر أحواله ... حتى في رسم التماثيل في الجدران والصنائع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك لدى الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء[٤٤].

وهنا يمكن أن نستشف البعد النفسي لعملية التماثل والتأثر الحضاري والتي هي بلا شك إحدى أهم العوامل التي أثرت في مسار تعرجات تطور العمارة في العالم الإسلامي من طرح ابن خلدون والتعاريف التي أوردناها آنفاً.

أن المجال الثقافي أكثر مجالات العولمة تعلقا وتأثيرا في العمارة كونها نتاج حضارات الشعوب وتعكس المستوى الثقافي لها. ورغم أن أبعاد العولمة تتداخل مع بعضها وبدرجات مختلفة في الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع, كونها مقومات الحياة الأساسية للبشر إلا أن تأثير العولمة في الثقافة أو عولمة الثقافة تظل الأكثر خطراً, لأن ثقافة الأمم والشعوب ومن ضمن كافة الأبعاد الأخرى تتضمن الثوابت الأساسية من (تاريخ, تراث, فكر, معرفة, تقاليد وقيم تستند عليها الأمم والشعوب) في موازنة متغيرات الاقتصاد وسياسة المجتمع, بل وحتى متغيرات الثقافة أو الغزو الثقافي (الفكري), (الحضاري), هو مصطلح تقريبي, يعطي معناه المحدد والمطلوب رغم انه ليس هناك في الواقع غزو ثقافي فكري تام بالمعنى المعروف لكلمة غزو والذي يتضمن الهجوم الاكتساحي وفي اغلب الأحوال يتم الغزو الثقافي بصورة اختراق أو تسلل, أو انتشار,تبعا لنوعية العلاقة بين البلدان خاصة المتقدمة منها

مع تلك التي تعاني النمو الحضاري البطيء, وعموما فإن مصطلح الغزو الثقافي يمكن استخدامه لبحث حالات وأشكال التغلغل الثقافي بطرق استعمارية معينة.

كما أن مفاهيم العولمة تشكل غزوا واخترقا ثقافيا العربية القومية والوطنية، وتشكل غزوا يجتاح العالم كله ويرمي إلى تنمية الثقافات دون الأخذ بالاعتبار الصراع الذي سيظهر بين القيم المتباينة من مجتمع لآخر وبين العقائد والثقافات والمفاهيم وتجعل الشعوب تتأثر بالثقافة الجامحة لتسير بركابها وتتأثر بها سلبيا، بمعنى أنها تتلقاها دون أن تتفاعل معها، وما يتبع ذلك من استلاب واغتراب للشخصية الثقافية الأصيلة وتقويض لطاقاتها الإبداعية(٤٥).

إن التنوع الثقافي أو التعدد الثقافي يعتبر ضرورة أساسية وثروة كبيرة يجب على الإنسانية الحفاظ عليها، وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانه لقدرة الإنسان على إبداء أجوبة مناسبة للتحديات المصيرية التي أصبحت تشغله فيما يخص ركيزتين أساسيتين لاستمرار الحياة، أولهما: التنوع البيولوجي، وثانيهما: التنوع الثقافي. على العكس من ذلك فإن التجانس الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية انقراض للإنسان ثقافيا، الأمر الذي لا يقل خطورة عن اختلال التوازنات البيئية والبيولوجية في العالم. فالثقافة أسلوب حياة، والمحافظة على التنوع الثقافي تمثل ضرورة من ضرورات الحياة يجب على المجتمعات الإنسانية أن تعمل من أجل المحافظة عليها وتعزيزها في كل زمان ومكان، خاصة في زماننا هذا حيث العولمة التي انتقل تحت ظلها النظام الرأسمالي من طور تعميم القيم الاقتصادية إلى تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي بوصفه آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنته على العالم مستفيدا من الثورة الإعلامية بمؤسساتها واتصالاتها السريعة لكي تخترق العالم بالصوت والصورة وتوحد الرموز والأذواق والمعايير والقيم مما يؤدي شيئاً فيئاً إلى القضاء على التنوع الحضاري والثقافي الذي يثري الإنسانية وحضارتها وستكون له آثاره في قولبة الفكر عموماً.

وهذا الطرح لا ينطبق على ثقافتنا العربية القومية والوطنية فحسب، لان احتمالات تعميم العولمة ثقافيا يؤدي إلى خطر مشترك يشمل المجتمعات الغربية أيضا، خاصة تلك التي تحاول الحفاظ على استقلاليتها الثقافية مثل المجتمع الفرنسي والياباني وغيرها، كما أشار إلى ذلك الكاتب (ادكاربيزاني): "لنقف معا ضد العولمة لأنها تتجاهل العلاقة بين الدولة والأمة والأرض والوطن واللغة والثقافة، وإذا قيل للفرنسيين أن بناء أوربا ينبغي أن يؤول إلى زوال الأمة الفرنسية فإنهم لم يقبلوا لأنهم يتطلعون إلى مستقبل يتحقق فيه التوازن والتكامل ما هو سياسي وما هو ثقافي ومحصن ضد العولمة التي تخلق وحدة زائفة تتجاهل العددية والتنوع"(٤٦).

ومن كل ذلك نستخلص بان مفاهيم العولمة تشكل غزوا واختراقا ثقافيا حضاريا على الثقافية العربية القومية والوطنية، وتشكل غزوا يجتاح العالم كله راميا لتنمية الثقافات دون الأخذ بنظر الاعتبار الصراع الذي

سيظهر بين القيم المتباينة والعقائد والثقافات ويجعل الشعوب تتأثر بالثقافة الموجهة الجامحة وتتأثر بها وتسير بركابها وما ينتج عن ذلك من استلاب واغتراب للشخصية الثقافية الأصلية وتقويض طاقتها الإبداعية.

وثقافة العولمة هي ثقافة القيم التجارية المادية الاستهلاكية وثقافة (الرغبة) كما تسمى في بعض الأدبيات وهي قديمة الظهور إلا أنها أصبحت تمثل أساس فكرة وشروع العولمة الثقافية الحالية بلباسها الأمريكي. وثقافة تفتقر إلى أية علاقة بالدين أو المعتقدات مبتعدة عن الأصول الحضارية. معتبرة الاستهلاك والاستملاك وسيلة لتحقيق السعادة. وهي نتيجة التحالفات بين المؤسسات المختلفة في دائرة مغلقة من العلاقات لتعزيز وفرض هيمنة الرغبة والاستهلاك.

ونحن بدورنا نؤكد على فهم العملية الثقافية بالشكل الذي تبنى فيه على الأصالة القومية لها من اجل تحويل الحوار مع الثقافات الأخرى إلى غذاء ثقافي يساعد على تجديد الأصالة، ويمتلك الحصانة ضد الغزو الثقافي والتبعية الثقافية، التي تقتل الإبداع، في مواجهة الاختراق الثقافي وعملية طمس الهوية الثقافية.

٤. الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

١. إن العولمة تندرج في سياق التغيرات أو التطورات التي تحصل على مستوى العالم ككل، وهي برأي العديد من الباحثين استمرار لما حدث في الغرب تحديدا من حداثة وما بعد الحداثة ومن ثم العولمة، مع الاختلاف الكبير في المستوى الفكري والمعرفي بين الحداثة وما بعد الحداثة من جهة والعولمة من جهة أخرى. ولأن الحداثة وما بعدها كمتغيرات فكرية شاملة لمختلف جوانب الحياة قد وجدت لها انعكاساً في العمارة استنادا إلى طبيعة النتاج المعماري ذاته الذي يشكل الوجه المادي الفيزيائي لعوامل الحضارة المختلفة،لان العولمة تندرج كما ذكرنا في سياق مثل هذه التغيرات، بغض النظر عن سلبية أو ايجابية توجهها قياسا لخدمة التطور الإنساني الشامل، فإن هذه العولمة وطبقا لما تقدم سوف تجد هي الأخرى مكانا لها في المدينة عبر عولمة العمارة بعد عولمة جميع العوامل والجوانب الحضارية في الحياة من اقتصاد وسياسة وثقافة واجتماع، ولكن بعد عولمة العمارة ستظهر عمارة العولمة أو العمارة المعولمة .. التي ستؤثر حينذاك في نشر عمليات العولمة بلغة بصرية مؤثرة جدا في ذهن المتلقي وفي مختلف بقاع العالم.

ومما سيساعد على انتشار عمارة العولمة هو التحول الذي سيشهده العالم إلى حضارة وثقافة الصورة بفعل الثورة التقنية والمعلوماتية، والذي يحول العمارة إلى حالة صورية إعلامية دون حدث أو موضوع أو

فكر يكمن خلف إنتاج تلك العمارة مما سيفرغ العمارة من مضمونها وبعدها الحضاري، علما أن للصورة تأثير في تطبع المتلقي لطبيعة الأصول الفكرية المكونة لهذه الصور.

إن المدينة كنتاج إنساني تتشكل من خلال طبيعة الفكر الكامن خلفها، لذا فإن ما تحمله مكونات هذه المدينة (التشكيل المعماري) يعكس تماما طبيعة وطريقة التفكير في هذه المدينة، والاستمرارية في التفاعل مع نتاجات معمارية بإشكال معينة تعكس فكرا محددا سيؤدي إلى التطبع بمفردات ذلك الفكر، لذا فإن تحديد توجه فكري في إنتاج طراز أو أسلوب معماري معين سوف يجعل من الممكن أن يكون ذلك الطراز مؤثر في تطبع المتلقي بطبيعة الفكر المكون للنتاج المعماري، ومع تقادم الزمن سوف يساهم ذلك في ترسيخ مفردات ذلك الفكر في ذهن المتلقي.

٢. إن العمارة والتخطيط هي ناتج عن تفاعل القيم الفكرية المعنوية من جهة والمادية الفيزيائية من جهة أخرى، فلا يمكن أن نعيش في عمائر ومدن ذات قيم فكرية ومادية لأصول غريبة تختلف أسس نشوئها عن ثوابتنا، وإذا حدث هذا، فستعاني البيئة الحضرية من التفكك وفقدان الهوية والشخصية واختلال في الانتماء للمكان والتوتر الاجتماعي.

٣. ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات. والمقصود بالثقافة هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية أو امة بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل دينامكيتها الداخلية والخارجية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء.

٤. لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها الحضارية ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر هي الوطن والأمة والدولة.

٥. إن العولمة هي نفي للآخر وإحلال وللاختراق الفكري الثقافي محل الصراع الفكري والإيديولوجي.

٦. في البيئة الحضرية التقليدية ظهرت بيئة متجانسة متكاملة إلى حد كبير بالرغم من أن الفقه الذي يمثل التشريعات العمرانية فيها، قد ترك الحلول للناس ووضع لكل حالة حلا خاصا بها. أما في الوقت الحاضر فبالرغم من كل الحلول العمرانية التفصيلية الموحدة التي عممت على البيئة العمرانية فقد نتجت بيئة عمرانية فيها الكثير من عدم التجانس والاختلاف وخليط غير واضح المعالم، ولا تنطوي على الصحة الفكرية السليمة، مما أدى إلى تشويه التكوين الفضائي للمدينة العربية الإسلامية المعاصرة مقارنة مع ما كانت عليه المدينة العربية الإسلامية التقليدية.

التوصيات

١. إن عملية تحديد وتبني فكر واضح يرتبط بحضارتنا وثقافتنا العربية القومية العريقة ينتج حتما عمارة لها هوية قومية عربية من خلال إدراك خصائص علاقة عناصر ذلك الفكر المرتبط بحضارتنا أولا، ومن ثم علاقة هذه العناصر الحضارية والثقافية المحلية مع العناصر نفسها لدى الأمم والشعوب الأخرى لتحقيق التفاعل بين لغتي العمارة القومية والعالمية.

وعليه نوصي بالتكامل في المناهج التدريبية ومقررات التصميم المعماري والحضري في المدارس المعمارية – التخطيطية في كل من جانبيها النظري والتطبيقي بما يدعم هذه التوجهات وينمي روح الهوية المحلية والخصوصية التي تعكس شخصية مدينتنا وعمارتنا بطابع محلي عربي إقليمي قومي عالمي مع التأكد على تحصين النشء الجديد من الانجراف مع تيارات العولمة والتوجهات الغربية التي تطرأ بين الفنية والأخرى على العمارة.

٢. لابد من الفهم العميق لماهية العولمة وإيديولوجيتها وتأثيراتها وتشخيص ايجابياتها وسلبياتها وما تشكله من تأثير في التشكيل المعماري للمدينة. فإن الخطوة الأولى في الحد من تأثير العولمة في التشكيل المعماري للمدينة هو الدراسة العميقة لها في كافة الجوانب وخاصة الجانب الثقافي.

٣. إن سلاح العولمة هو الاختراق الثقافي أو الغزو الحضاري والمعماري وما يشكله من خطورة على الثقافية العربية والقومية. فلابد من التسلح بالوعي والإدراك الذهني والحسي لكل ما يدور في العالم من متغيرات تؤثر على العمارة القومية لكي يتم الوعي الكامل بهذه المتغيرات والتطورات ومواجهتها بالتسلح الثقافي والإدراك الواعي.

٤. هناك من يرى أن كون الظروف الحالي للأمة العربية مجزأ وغير متكامل اقتصاديا وسياسيا وحتى اجتماعيا قد يكون عائق في وجود تشكيل معماري عربي قومي ناتج عن التكامل القومي العربي[٤٧]. إلا إن الباحث يرى إن مواجهة علمية العولمة في التشكيل المعماري للمدينة قد لا يتطلب بالضرورة التكامل الحضاري العربي وإنما يتطلب الوعي (بالمتغيرات الفكرية) الحاصلة وهي عملية مرتبطة أساسا بمدى (الوعي بالتقدم) ومواجهة الثورة المعلوماتية والإعلام الموجه من الغرب. باعتماد سياسة تقنية واعية بالإعلام الغربي باستخدام وسائل الإعلام الحديثة عربيا كإعلام موجه ومضاد للإعلام الغربي يحاول التركيز على مفردات وعناصر العمارة القومية العربية ونقل المعطيات المعمارية العربية ذات السمة الحضارية والثقافية والأصالة العربية، ولكن بشكل مضاد وبنفس الطريقة والأسلوب الإعلامي الذي يعتمده الغرب، ولكن ليس بشكل الاختراق الثقافي وإنما بقصد تأكد الهوية والحضارة العربية ومعطياتها.

٥. اعتماد المبادئ المميزة للفكر المعماري العربي المدعم بالفكر العربي الديني الإسلامي ذي الشمولية في التصور والمستمدة من القران الكريم والسنة الشريفة إلى جانب التشريع المتعلق بالبنيان والعقار والفقه كمصادر للفكر

الإسلامي، حيث تمكن فلسفة ٠الفكر المعماري العربي الإسلامي) في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة بتاطير الفكر والعقيدة عن طريق التشريع الديني كمرجعية ثابتة صالحة لكل زمان ومكان، إلى جانب حرية اختلاف مقدرات التشكيل كجانب اجتهادي مرتبط بالزمان والمكان متأثرا بالتغيرات والتطورات الفكرية والعالمية.

٦. نشر الفكر المعماري العربي بين أبناء الشعب وذلك لربطهم بتاريخهم وتراثهم من اجل تحصين أفكارهم من الغزو الفكري الغربي. وعلى سبيل المثال تبيان التأثيرات السلبية للمساكن المسماة بالدبلفوليوم (Double Volume) من الجوانب الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والبصرية والشائع استعمالها في المدن العراقية في الوقت الحاضر.

٧. مراعاة الخصوصية المحلية للمجتمع العربي وعاداته وتقاليده عبر رفض كل ما من شأنه تهجين الثقافة العربية مثل التوجهات (التفكيكية) وهذه يجب أن تتضمنها ضوابط البناء التي يفترض أن توجه بالتفاصيل لرفض كل ما يشوه منظر المشهد الحضري بصريا.

٨. محاولة نشر الوعي لدى الناس بمخاطر العولمة عن طريق التلفاز والمؤتمرات والندوات واشتراك الجماهير في تلك اللقاءات العلمية وجعلها ندوات مفتوحة لمناقشة أخطار العولمة على التشكيل المعماري للمدينة العربية وذلك لان الإنسان اللاواعي هو الذي يراه يحول قطعته السكنية إلى بناء ذو طابع غربي معولم.

٩. يجب الحفاظ على المناطق القديمة والتقليدية ذات القيمة العمرانية وصيانتها وإزالة المناطق المتهرئة منها والتي لا تمتلك أية ميزة معمارية وإجراء عمليات التجديد الحضري إعادة التأهيل إلى هذه المناطق وتنشيط الفعاليات الموجودة فيها. تعتبر هذه الخطوة أساسية وذلك لأنه عن طريقها سوف نستطيع أن ننقل صورة واضحة عن أهمية الموروث الحضاري وطبيعة المعالجات التخطيطية والتصميمية الناجحة التي أتبعها أجدادنا لتوعية الناس بذلك من جهة ولتكون مرجعا للمخططين والمصممين لاستلهام هذه الأساليب في بقية أجزاء المدينة وبذلك نكون قد تمكنا من تصحيح الصورة المشوهة التي قاموا بها المستشرفين عن المدينة العربية التقليدية.

Abstract

The city as an architecture structure is a human phenomenon whose image is formed through the system of thought nature. So, what this image is carrying will exactly reflect the way of thinking in the producing this image, and the continuity of interaction with images having specific forms will reflect a limited

thinking that leads to adapting the elements of that thinking, Therefore, specifying a kind thinking in producing an architectural movement will make this movement possible effectively. And with the proceeding of time this will enhance the elements of that thinking.

One of the most effective mental currents on the identity of the Arabic city in the contemporary time is globalization; from one side because it looks at the world as small village, and by that it denies the differences between regions, with regard to thought traditions and habits. The beginnings of globalization and its reflections started to appear in the architectural formation of the Arabic city after it appeared in the literature and poetry.

Hence, one must deeply understood the nature of globalization, its ideologies and effects, and must diagnosis its advantages and disadvantages, its effect on the architectural formation of the Arabic city in order to completely comprehended these variants and developments ,and to confront them through using the cultural backup and total recognition.

هوامش البحث ومصادره

(١) ماهر الشريف، ماذا تعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة، مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية، ١٩٩٨م.

(٢) احمد عبد الجبار جودت، بنية الصورة المعمارية في ضوء نظرية المعرفة الإنسانية، أطروحة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٥م.

(٣) ماهر الشريف، مصدر سابق.

(٤) يسين السيد، الكونية والأصولية وما بعد الحداثة، القاهرة، المكتب الأكاديمية، ١٩٩٥م، ج٢ .

(٥) زيد، جلال، تجليات العولمة على الصعيد العربي وموقف شعوب العالم منها، مجلة "أفاق عربية" العدد (٥-٦)، بغداد، ٢٠٠١م، ص (٥).

(٦) يسين السيد، مصدر سابق، ص (٣٣).

(٧) زيد، د.جلال، تجليات العولمة على الصعيد العربي: موقف شعوب العالم منها، مصدر سابق ص (٥).

(٨) نفس المصدر.

(٩) عكاش، سامر، الثقافة وخطاب الهوية، المؤتمر الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، عمان، ١٩٩٨م، ص (١).

(١٠) النورجي، احمد خورشيد، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ص (١١٩).

(١١) محمد، محمد إسماعيل، نظام الإسلام، المكتبة الشريفة، بيروت، ١٩٥٣م، ص (١٦).

(١٢) نفس المصدر ص (٢١).

(١٣) نفس المصدر ص (٢٢).

(١٤) علي، أزاد احمد، حول مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ص (١١٩).

(١٥) نفس المصدر ص (١٦٦).

(١٦) الجادرجي، رفعة، العمارة المقدسة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢١٥) ودراسات الوحدة العربية، بيروت – ٢٠٠٠م، (٣٠) (بتصرف).

(١٧) النورجي، احمد خورشيد، مصدر سابق ص (٢٤٦).

(١٨) الجادرجي، رفعة، مصدر سابق ص (٣١).

(١٩) ويليك، رينية، مفاهيم نقدية، الترجمة د.محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (١١٠) – ١٩٨٧م، ص (٢٦٤).

(٢٠) النورجي، احمد، مصدر سابق، ص (١٤٤).

(٢١) نفس المصدر ص (١٤٤).

(٢٢) الجادرجي، رفعة، مصدر سابق ص (٣٤).

(٢٣) الجادرجي، رفعة، مصدر سابق ص (٣٦) بتصرف.

(٢٤) نفس المصدر ص (٣٨).

(25) Hakim, Basim Selim, Arabic-Islamic cities, London, 1980, p.165.

(26) Eames, Edwin, Urban Landscaps design, New gersay, 1977, P.60.

(٢٧) طارق، والي، القيم الإسلامية في بناء المجتمعات، ندوة الإسكان في المدينة الإسلامية في بناء المجتمعات، ندوة الإسكان في المدينة الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص (٣٠١).

(٢٨) موفتن، د.كلبف و د.طارق شلبي، مدخل جديد لتصميم المساكن في المدن الإسلامية، ندوة الإسكان في المدينة الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص (٢١٧).

(29) Tanghe, Janysieg.V.y Jo. B. Living Cities, Pregamon Press. 1984, p.124.

(30) Belkacem, youssef, "Bioclimatic Patterns & Humon Aspects of Urban from in the Islamic city" In "the Arab city", the Arab Urban Development inst. Saud Arabia. 1982, p.(6).
(31) Ansari, J. H. & shaherr, M., "A strategy for planning An Town" in "The Arab City" 1982, p.273.
(32) Hassan, R., "The Nature of is Lamic Urbanization, A historical perspective" In Ekistics No., 182. Jan. 1971, p.63.
(33) Hassan, R. OP.Cit., p.109.
(34) Hassan, R. OP.Cit., p.63.
(٣٥) لغرض الاستزادة بالمعلومات في هذا المجال يمكن الرجوع البحث الموسوم "المدينة العربية الإسلامية من منظور معماري وحضري للسيد رعد لفتة السعدوني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة بغداد ١٩٩٠م.
(٣٦) د.إبراهيم، عبد الباقي، المنظور التاريخي للعمارة في الشرق العربي، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، ١٩٨٧م.
(37) Spense, R. J. S. Cook, Building Material in Developing Countries Joun Wiccy & Sons Chichester, England, 1982, p.22.
(38) Al-Hathloul, Saleh, The Role of the shariah in the transformation of the physical Environment of Arab-Muslim Cities in Preservation of Islamic Architectural Heritage The Arab Urban Development Institute, Riyadh 1988, p.214.
(٣٩) سارينن، اليل، المدينة (نشوئها، تصدعها، مستقبلها)، ترجمة محمود حمندي، جامعة بغداد، ١٩٨٦م، ص.٦٨.
(٤٠) النورجي، احمد، مصدر سابق، ص (١١٩).
(٤١) نفس المصدر، ص (١٠٤, ١٠٥).
(٤٢) عبد الدائم، عبد الله، نحو فلسفة تربوية عربية، الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي، ط٢ مزيدة ومنقحة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص.٣٤.
(٤٣) الجراح، كمال رفيق، ندوة الثقافة العربية والعولمة، مجلة "الدراسات الاجتماعية"، العدد ٢، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٩، ص (٣٦، ٣٧).
(٤٤) مقدمة ابن خلدون، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٩م، ص (٢٥٩).
(٤٥) النعمان، حسام يعقوب هلال، العمارة والعولمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠١م، ص (٢١).

(٤٦) توفلر، الفن، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٠م، ص (٣٢٤).

(٤٧) د.فرح، الياس، مداخلات ندوة الثقافية العربية والعولمة، ملف مجلة دراسات بيت الحكمة، العدد٢ ، بغداد، ١٩٩٩م، ص (٢٨).

(٤٨) بودماغ، سعاد، الخطاب المعماري بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي، مجلة المستقبل العربي، العدد٢٤ ٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص (٢١).